

ناتو عربى أمريكى ولد ميتاً

بقلم: محمد المنشاوي

لا تحتاج واشنطن ولا العرب لتأسيس تحالف جديد، إلا حفنة منهم تؤمن بضرورة التودد لنتنياهو لإرضاء واشنطن.

ترى السعودية والإمارات والبحرين في إيران خطرا يجب مواجهته بينما لا تؤمن بقية دول التحالف بأن إيران خطرا عليهم.

تعمقت أزمة الثقة بين أطراف التحالف العربية على خلفية أزمة حصار قطر بريا وجويا، من أربعة أعضاء في الحلف الاستراتيجي.

* * *

تضغط الولايات المتحدة على أصدقائها العرب السنة من أجل تأسيس تحالف إقليمي عسكري يعرف باسم «تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي» أو اختصاراً بكلمة «ميسا» (MESA)، ويطلق عليه رمزياً «الناتو العربي».

وترغب إدارة الرئيس دونالد ترامب في تأسيس التحالف الذي يضم إضافة إليها ثمانية دول عربية، هي دول مجلس التعاون الخليجي الست ومصر والأردن.

من هنا جاء اجتماع وارسو الوزاري الذي عقد يومي 13 و14 فبراير الجاري عاكساً لرؤية أمريكية لخريطة شرق أوسط جديد، يلعب العرب فيه دوراً هامشياً خادماً لمصالح واشنطن وإسرائيل دون اكتراث بأي مصالح حقيقية للشعوب العربية.

* * *

وكان رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو نجم المؤتمر بلا منازع، واختار الوزراء العرب الاصطفاف «في صورة جماعية للمشاركة» توسطها نتنياهو.

ودفعت مشاركة مايك بينس نائب الرئيس الأمريكي إضافة لفريق إدارة ترامب المشرف على عملية سلام الشرق الأوسط وما يُسمّى «صفقة القرن» من أهمية المؤتمر الشكلية رغم ما بدا من ارتباك حول تنظيمه ومستوى المشاركة وجدول أعماله.

وتربط تقارير كذلك بين فكرة التحالف الاستراتيجي وملف التطبيع الخليجي مع إسرائيل، إذ تعتقد إدارة ترامب أن من شأن آلية التحالف أن تقرب بين إسرائيل والدول الخليجية لما يجمعها من هدف رئيسي يتمثل في مواجهة إيران.

وأشار وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو في كلمته بالجامعة الأمريكية بالقاهرة إلى أن العرب وإسرائيل يواجهون نفس العدو في إشارة لإيران، ولم يتحدث عن الاحتلال لأراضي الفلسطينيين ولا عن حقوقهم.

للأسف لا يزال الكثير من الحكام العرب يؤمنون أن بوابة رضاء واشنطن تتمثل في علاقات حميمة تجمعهم بإسرائيل.

وسيدكر التاريخ أن ممثلى حكام دول عربية احتشدوا فى عاصمة أوروبية جنبا إلى جنب مع رئيس الوزراء الإسرائيلى الأكثر تطرفا فى تاريخها (يتوسط الصورة) تلبية لدعوة إدارة أمريكية (فرضت حظرا على دخول مواطنى عدد من الدول الإسلامية واعترفت بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقلت السفارة إليها) لإعادة تشكيل خريطة تحالفات الشرق الأوسط.

وبحيت يتم تجاهل قضية فلسطين ومصير القدس مقابل الإيمان بوجود خطر وجودى من إيران التى احتفلت قبل أيام بالذكرى الأربعين لانتصار ثورتها .

* * *

ويمكن فهم الموقف السعودى بشأن الرغبة فى التقرب من إدارة الرئيس ترامب وحماسها لمشروع التحالف الاستراتيجى من خلال ثلاث نقاط:

الأولى، اختارت الرياض أن تتجاهل تجاوزات ترامب المسيئة للسعودية وشجعها خطاب ترامب المعادى للاتفاق النووى مع إيران وإقدامه على الانسحاب من الاتفاق النووى وإعادة فرض عقوبات قاسية على إيران.

الثانية، مواجهة قانون "جاستا" Act Terrorism of Sponsors Against Justice ومعناه العدالة ضد رعاة النشاط الإرهابى، والذى أقره الكونغرس بما يشبه الإجماع قبل نهاية عام 2016.

وفُصل هذا القانون كى يتم من خلاله توجيه الاتهام للمملكة السعودية وأعضاء أسرتها الحاكمة بالصلوع بصور مباشرة وغير مباشرة فى هجمات 11 سبتمبر 2001. ويرى البعض أن مواقف الرياض مرتبطة بما تراه وتأمله من أن هذه الترتيبات قد تجنبها أى مساءلة مستقبلية طبقا لقانون جاستا .

الثالثة، يتقاطع حماس الرياض مع رغبة الرئيس ترامب فى إظهار أهمية ومكانة السعودية الجيوستراتيجية، وهو ما دفعه لعدم اتخاذ موقف متشدد من مقتل الكاتب الصحفى جمال خاشقجى، بعكس الكونغرس الذى يتخذ موقفا أكثر تشددا ضد الرياض وضد ولي العهد محمد بن سلمان.

وقد أشارت تقديرات وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية لمسئولية بن سلمان عن عملية القتل، وهو الطرح الذى اختار ترامب أن يتجاهله، على الأقل حتى الآن.

تدفع الخلافات التي تجمع الأعضاء العرب المعنيين بالتحالف الاستراتيجي للاعتقاد بأن تأسيس التحالف الاستراتيجي يعد فكرة صعبة التنفيذ. ومنبع هذه الخلافات بالأساس يتمحور حول عدم اتفاق دول التحالف على تحديد مصادر التهديد التي تواجهها.

ترى السعودية والإمارات والبحرين إيران كخطر كبير يجب مواجهته بكل السبل. وعلى النقيض لا تؤمن بقية دول التحالف بأن إيران تمثل الخطر الأول عليهم. كما يمثل انخفاض مستوى الثقة المتبادلة بين الدول الأعضاء تحدياً آخر أمام تشكيل أى تحالف.

وتعمقت أزمة الثقة بين أطراف التحالف العربية على خلفية أزمة مقاطعة قطر برياً وجوياً، من أربعة أعضاء من بين دول الحلف الاستراتيجي.

وتعد الأزمة الخليجية من بين أهم التحديات التي تواجه بناء التحالف الاستراتيجي خاصة مع جمود جهود الوساطة بين أطراف الأزمة التي تقوم بها الكويت أو حتى تلك التي حاولت من خلالها واشنطن.

ومن الصعوبة بمكان تصور تأسيس التحالف الاستراتيجي ما لم يتم حل الأزمة الخليجية خاصة بعد استقالة المبعوث الأمريكي لحل الأزمة الجنرال أنتوني زيني ليأسه من تحقيق أى نجاح.

من ناحية أخرى، تؤثر تبعات أزمة مقتل الكاتب الصحفي جمال خاشقجي وتداعياتها غير المسبوقة على العلاقات الأمريكية السعودية على أى أفكار تتعلق بالتحالف الاستراتيجي.

ويمثل الموقف المتشدد الذي اتخذه الكونغرس تجاه المملكة السعودية، إضافة لما يتوقع من تشريعات جديدة، قد تعقد أى ترتيبات أمنية مستقبلية. وينظر الكونغرس فى عدة تشريعات تحد من مبيعات السلاح للسعودية، وتحد من التعاون والدعم العسكى المقدم للتحالف العربى فى اليمن.

حددت الإدارات الأمريكية منذ الثورة الإيرانية ثلاثة عوامل اعتبرت الإخلال بأحدهم سبباً كافياً للقيام بعمل عسكى ضد إيران.

- أولها الهجوم أو الاستعداد للهجوم على حلفاء واشنطن فى المنطقة كإسرائيل أو الحلفاء الخليجيين.

- ثانياها محاولة إعاقة تصدير النفط من الخليج، وآخرها الحصول على أسلحة نووية. وتمسكت الإدارات الأمريكية بضرورة التواجد فى المنطقة عسكريا والتنسيق والتعاون مع الدول الخليجية.

- ثالثها، تتضمن رؤية واشنطن لردع إيران تواجد ما يقرب من 35 ألف جندي أمريكي فى دول مجلس التعاون الخليجى. يتوزع التواجد العسكرى الأمريكى فى عدة قواعد عسكرية منها قاعدة العُديد الجوية فى قطر، وقاعدة الدعم البحرى فى البحرين، وقاعدة الطفرة الجوية فى الإمارات ومعسكر العريفجان فى الكويت.

واستطاعت واشنطن بناء منظومة عسكرية للأمن الخليجى عمادها تواجد عسكرى كثيف ومباشر فى دول مجلس التعاون بدون استثناء، إضافة لتسليح دول هذه المنطقة وتدريب جيوشها فى مناورات مشتركة تجمعها بدول المجلس مجتمعة وبصورة فردية أيضا.

ولا تحتاج واشنطن لتأسيس تحالف جديد، ولا يحتاج العرب لتأسيس تحالف جديد، إلا ربما حفنة منهم تؤمن بضرورة التودد لنتنياهو من أجل إرضاء واشنطن..

ولا يدل ذلك فقط على جهل كبير بواشنطن، بل جهل بتوازنات الشرق الأوسط ذاتها.